الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث لعلمي
جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة ـ
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

ينظم مخبر سيميولوجيا المسرح بين النظرية والتطبيق

يوما دراسيا بعنوان.

العناصر التداولية في الخطاب المسرحي العربي.

13يوم: نوفمبر2017م

المداخلة كاملة

اللقب والاسم: **د/ونوغي إسماعيل**.....

الرتبة:**أستاذ محاضر قسم** (أ).....

الجامعة: **جامعة محمد بوضياف بالمسيلة**.....

الكلية: **الآداب واللغات**.....

القسم: **اللغة والأدب العربي**.....

الهاتف:**0662131090**.....

البريد الإلكتروني: **smail.moha@yahoo.fr**.....

محور المداخلة: **البعد التداولي في الخطاب المسرحي**.....

عنوان المداخلة: **أسس ومكونات التداولية في النص اللغوي المسرحي** .....

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

المسيلة في: 13 نوفمبر 2017

شهادة مشاركة

يتشرف السيد عميد كلية الآداب واللغات و مدير مخبر سيميولوجيا المسرح بين النظرية والتطبيق بمنح هذه الشهادة

للأستاذ الفاضل: د/ ونوغي إسماعيل جامعة محمد بوضياف - المسيلة

لمشاركته الفعالة في اليوم الدراسي: العناصر التداولية في الخطاب المسرحي العربي المنعقد يوم 13 نوفمبر 2017

بقاعة المحاضرات بالمكتبة المركزية بمداخلة موسومة بـ: أسس ومكونات التداولية في النص اللغوي المسرحي.

مدير المخبر

الأستاذ / بوطاية الشريف

عميد الكلية

عميد كلية الآداب واللغات بالنيابة

د- عمار بن لقريشي

عنوان المداخلة: أسس ومكونات التداولية في النص اللغوي المسرحي

عناصر المداخلة:

منطلق

تعريف التداولية لغة واصطلاحا

نشأة التداولية وأسباب ظهورها

أركان التداولية ومكوناتها

أهمية عنصر السياق في التداولية

تأصيل التداولية عند العرب

التداولية والمسرح

خاتمة

أسس ومكونات التداولية في النص اللغوي المسرحي

منطلق: لقد قدم علماء عديدون عدة مفاهيم للتداولية، يدور جلّها حول الاستعمال والتلفظ وسياقات صحة الكلام وسلامته، مع التركيز على الجانب التواصلي اللغوي بين طرفين أو أكثر.

يهتم علم المقاميات أو الذرائعيات أو التداوليات ـ الذي يعدُّ أعظم جزء من فرع اللسانيات ـ بتوضيح الفروق والفجوات والثغرات الفاصلة بين معاني الكلام البشري من حيث ما تحمله الألفاظ اللغوية من مدلولات في ذاتها وفي سياقاتها الكثيرة والمختلفة والمتشابكة، وبين معاني ومقاصد المتكلم ومراده منها.

ويركز الاتجاه التداولي على مختلف المحددات والمستلزمات التي لها علاقة مباشرة بالتداول اللغوي الإنساني مثل السياق الذي يعدُّ قناة الحديث ومجراه، والمقام الذي يعدّ بمثابة الأرضية الضرورية التي تتم فيه عملية التواصل، ومن غير السياق والمقام والأطراف المتصلة لا يمكن أن يحصل اتصال ولا تواصل، ولا يكون هناك إنتاج دلالي ولا تفاعل بين مستعملي الألفاظ والعبارات.

إن الاتصال اللغوي الذي يبدأ به شخص معين، والتواصل اللغوي الذي يشترك فيه أكثر من شخص، لا يعتمدان فقط على الكفاءات والمقدرات اللغوية من أحد المتصلين أو من كليهما، وإنما لابد كذلك من توفير جملة كافية من الظروف والعوامل الأساسية غير اللغوية مثل تحليل الخطاب، والحجاج وفلسفة اللغة والتي تفرض نفسها فرضا في السياقات اللغوية المختلفة، محددة الأداء اللغوي الناجح والمفيد.

يحاول البعد التداولي الربط بين البنية اللغوية للجمل والظروف المقامية التي تنجز فيها، فهو يعالج الظاهرة اللغوية ضمن ظروف خارجية تحيط بالعملية الكلامية، دون حصر هذه المعالجة في إطار لغوي خالص، لذا فإن هذا الاتجاه ينظر إلى الأبعاد التداولية على أنها علاقات قائمة بين مكونات الجملة، على غرار العلاقات التركيبية والدلالية، وعليه ينبغي عند تحليل الجملة أن يكون ثمة تمثيل للوظائف التداولية، كما تمثل الوظائف التركيبية والدلالية، وذلك بقصد تحقيق أهداف تواصلية محددة، في إطار السعي إلى ما يعرف بالكفاية التداولية.

أردنا في هذه المداخلة توضيح إشكالية التداولية من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي، ومن حيث الأسس التي تستند إليها، وكذا تأصيل التداولية عند العرب، والتداولية والمسرح معتمدين على مجموعة من النماذج اللغوية في اللغة العربية.

مفهوم التداولية في اللغة والاصطلاح:

1. **حدّ التداولية في اللغة**: قال الله تعالى: {إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ **نُدَاوِلُهَا** بَيْنَ النَّاسِ} [آل عمران: 140] جاء عند الإمام عمر بن كثير (ت700هـ) في تفسير قول الله تعالى: {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ **نُدَاوِلُهَا** بَيْنَ النَّاسِ} «أي: نديل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت العاقبة لكم لما لنا في ذلك من الحكم.»[1] والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم. وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه، يراوح بينهما.

وجاء في مختار الصحاح: «دَالَتِ الأَيّامُ أي دارت، والله يُدَاوِلها بين الناس، وتَدَاوَلَتْهُ الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة.»[2] ورد في معجم المصباح المنير: «د و ل (تَدَاوَلَ) القَوْمُ الشّيْءَ تَدَاوُلاً وهو حصوله في يد هذا تارة وفي يد هذا أخرى، والاسم الدّولة بفتح الدّال وضمها وجمع المفتوح دِوَلٌ مثل قَصْعَة وقِصَع، وجمع المضموم دُوَل بالضم مثل غُرفَة، غُرَف... ودَالَتِ الأيَّامُ تَدُولُ، مثل دارت تدور وزْنا ومعنى.»[3] ومعنى التداول كما جاء في المعجم الوسيط: «دَالَ الدَّهرُ دَوْلا ودَوْلَةً: انتقل من حالٍ إلى حالٍ دَالَتِ الْأَيَّامُ: دارت، ويُقال: دَالَتِ الْأَيَّامُ بكذا، ودَالَتْ له الدَّولةُ، وأَدَالَ الشَّيْءَ: جعله مُتَداوَلا...انْدَالَ القومُ: تحولوا من مكان إلى مكان. تَدَاوَلَتِ الْأَيْدِي الشَّيْءَ: أَخَذَتْهُ هذهِ مرةً وهذهِ مرةً. ويُقال: تَدَاوَلَ القَوْمُ الأمْرَ. اسْتَدَالَ الأيامَ وغيرها: استعطفها أو طلب غيرها...والدَّوْلَةُ: الشَّيْءُ المُتَدَاوَلُ...»[4] هذه التعاريف وأشباهها في معاجم وقواميس عربية شتى تُجمع على أن التّداولية هي المداولة بين الأشياء والتعاقب في التعامل معها، حيث يصير لكل طرف قسط من المساهمة في تدويل الأشياء وتعاقبها.

وهذا ما يؤدي إلى استخلاص المعنى المشير إلى أن التّداول كما جاء في التّعاريف القديمة والحديثة هو الأخذ والرّدّ، أو هو تجاذب يحدث بين طرفين أو أكثر، لذلك عمل العلماء على جعل تداول الكلام بين المتكلم والمستمع أمرا أساسا في تناول قضايا التداولية وأبعادها.

والملاحظ كذلك على معاجم العربية أنها لا تكاد تخرج في دلالاتها للجذر"د و ل" على معاني: التحول والتبدل والانتقال، سواء من مكان إلى آخر أم من حال إلى أخرى، مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحول والتغير والتبدل وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم، إلى حال أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح **"تداولية"** أكثر ثبوتا بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى والتي منها الذرائعية، النفعية، السياقية والمقاماتية، والمقامية، وعلم المقاصد، والبراجماتية، والبراغماتية...إلخ

2ـ تعريف التداولية في الاصطلاح:

"التداولية"المصطلح العربي المقابل الأشهر والأدق للمصطلح الإنجليزي(Pragmatics) ذلك المصطلح الذي يتفق الدارسون على إرجاعه إلى الفيلسوف تشارلز موريس وقد عرفها بوصفها جزءا من السيمائية (سميوطيقا) التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي العلامات.

يقول مسعود صحراوي: «التيار اللساني هو مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها**"الخطاب"**والبحث عن العوامل التي تجعل من**"الخطاب"**رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل.»[5] وهذه هي الغاية السامية للتداولية التي تروم البحث في العلاقة الوطيدة بين مرسل الكلام ومستقبله.

ويمكن هنا عرض بعض تعريفات التداولية التي وردت عند العلماء والدارسين على النحو الآتي:

1. هي دراسة الأسس التي نستطيع بها أن نعرف لم تكون مجموعة من الجمل شاذة تداوليا أو تعد في الكلام المحال كأن يقال مثلا: أرسطو يوناني لكنى لا أعتقد ذلك. وعلى الرغم من أن إيضاح الشذوذ في هذه الجمل قد يكون سبيلا جيدا للوصول إلى نوع من الأسس التي تقوم عليها التداولية فهو لا يعد تعريفا شاملا لكل مجالاتها.
2. هي دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية، فإذا اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال التي تنطبق شروط الصدق فإن التداولية تعنى بما وراء ذلك مما لا تنطبق عليه هذه الشروط.
3. هي دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ لأنها تشير إلى أن المعنى ليس شيئا متصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا المتلقي وحده فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والمتلقي في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما.
4. هي دراسة جوانب السياق تشفر شكليا في تراكيب اللغة، وهي عندئذ جزء من مقدرة المستعمل.
5. هي العلم الذي يعنى بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم.

6. هي دراسة السياقات المختلفة والوسائل المستخدمة لغويا للتعبير عن عمل معين.
7. هي مجال استعمال اللغة في التواصل والمعرفة.
8. مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات.إلخ[6].

وجاء عند الأستاذة كاترين كربرت عن د/مسعود صحراوي أن التداولية هي: «علم الاستعمال اللغوي»[7] ويوضح محمود نحلة بعض الأسباب التي أدت إلى صعوبة وضع تعريف جامع مانع للتداولية ألا وهي:

1ـ أن نشأتها لم تكن لغوية محضة، بل كان لفلاسفة اللغة د دور ملحوظ في النشأة والتطور.

2 أنها ليست فرعا أو مستوى تحليليا من مستويات التحليل اللغوي.

3 قد لا تنضوي التداولية تحت علم من العلوم التي لها علاقة باللغة على الرغم من تداخلها مع هذه العلوم في بعض الجوانب.

نخلص مما سبق ذكره في تلك التعاريف أن **التداولية** هي: "دراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل"

نشأة التداولية: يعود استعمال مصطلح التداولية إلى الفيلسوف تشارلز موريس*انطلاقا من عنايته بتحديد الإطار العام لعلم العلامات، أو السيمائية من خلال تمييزه بين ثلاثة فروع، وهي:

1. الفرع الأول: النحو أو التركيب (Syntax) وهو دراسة العلاقة الشكلية بين العلامات بعضها البعض.

---

* **تشارلز موريس** (Charles W. Morris) ولد في23 ماي 1903م، بودنفر(كولورادو) وتوفي في15 جانفي 1979م، بغاينيسفيل (فلوريدا) هو عالم إشارات (sémioticien) وفيلسوف أمريكي.

أفكاره وأعماله: قريب من البيئات الفكرية في فيينا، ومن الفلسفة الوضعية المنطقية، وضع شكلا أصليا من الواقعية. ونهج موريس السيميائي يتناول الموضوع بخلط مجموعة من العلامات، ودلاليّا بتناول معنى العلامات وبالمنطقية التي تتعلق بالأصل وبالاستخدام وبآثار العلامات.

2. الفرع الثاني: الدلالة (Semantics) وهي دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تؤول إليها هذه العلامات.
3. الفرع الثالث: التداولية(Pragmatics) وهي دراسة علاقة العلامات بالأشياء وبمستعمليها وبمؤوليها.

نشأت التداولية وظهرت في الفكر اللساني الغربي الحديث بحيث أصبحت تيارا موازيا لتيار البنيوية وتيار التوليدية التحولية، وقد اتفق الدارسون على أن **التداولية** لم تصبح مجالا يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد؛ هم: جون أوستن*، و جون سيرل*، وجرايس* وكانوا جميعا مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ متكلم رسالة إلى متلقي يفسرها. وكان هذا من صميم **التداولية**.

---

* **جون لانجشو"جيه إل" أوستن** (ولد في26 مارس 1911م ـ توفي في08 فبراير 1960م) كان فيلسوفا بريطانيا ويعرف في الأساس بأنه واضع نظرية أفعال الكلام. قبل أوستن، كان اهتمام الفلاسفة اللغويين والتحليليين موجهًا بشكل حصري تقريبًا إلى العبارات والتوكيدات والمقترحات . إلى الأفعال اللغوية التي لها قيمة حقيقية (نظريا على الأقل). أدى هذا إلى مشاكل عند تحليل أنواع معينة من العبارات، على سبيل المثال، في تحديد شروط الحقيقة لتلك العبارات مثل: **"أعدُ بفعل كذا وكذا"**. وأشار أوستن أننا نستخدم اللغة لفعل الأشياء وكذلك لتأكيد الأشياء، وأن نطق عبارة مثل: **"أعدُ بفعل كذا وكذا"** تُفهم بشكل أفضل كفعل شيء ـ عمل وعد ـ وليس توكيدًا لأيّ شيء. ومن هنا جاء اسم أحد أفضل أعماله المعروفة: "كيفية فعل الأشياء بالكلمات".

* **جون سيرل:** يُعدُّ جون سيرل واحدا من أبرز الفلاسفة المحدثين الذين ينتمون لتيار الفلسفة التحليلية. درس الفلسفة في جامعة كاليفورنيا، وحاضر كأستاذ زائر في عدد كبير من الجامعات العالمية يشكل كتاب "**العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي**" خلاصة الحياة الفلسفية لجون سيرل، وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام 2000م، لكنه حظي بشعبية كبيرة جدا خلال فترة وجيزة، فترجم إلى ما يقارب عشر لغات. وهو يتناول فيه نظرية المعرفة القديمة في ضوء المنجزات العلمية والفلسفية الحديثة، ويدعو إلى تخطي المقاربات والمقولات القديمة المتمثلة في الثنائية والمادية والواحدية، ويعتبرها مسلمات وفرضيات مسلماً بها قبلياً على نحو سابق على خلق النظرية. وهكذا يعيد المؤلف النظر في المواقف الثنائية بدءاً من ديكارت حتى الوجودية، مثلما يعيد تقييم المادية في طبعاتها المختلفة ليتوصل إلى اقتراح فهمه الجديد مزودا بعدة تحليلية توفرها العلوم الحديثة في الفيزياء والكيمياء وفيزيولوجيا الأعصاب.

* **هربرت بول جرايس** (ولد في 13 مارس 1913م ـ وتوفي في28 أوت1988م) وهو معروف كذلك باسم **إتش بي جرايس** أو **إتش بول جرايس** أو **بول جرايس**، كان فيلسوف لغة بريطانيا مثقفا قضى آخر عشرين

الأسباب التي أدت إلى ظهور التداولية وتطورها وازدهارها: ومنها أسباب داخلية، وأسباب خارجية:

أولا: الأسباب الداخلية:

1. لاحظت اللسانيات التوليدية التحويلية وجود ظواهر تركيبية ظاهرية يستحيل تفسيرها دون مراعاة السياق.
2. أن النحو لا ينبغي تفسيره، أو صياغة قواعده على أساس الحدس اللغوي بل على أساس ملاحظة الاستعمال الحقيقي للغة محل الدراسة.
3. إقصاء "الدلالة" من البحث اللساني في التيارات البنيوية وخصوصا الأمريكية.

ثانيا: الأسباب الخارجية:

1. ازدهار بعض العلوم والميادين المعرفية التي ترتبط باللغة كالمعالجة الآلية للغة في التوثيق والترجمة الآلية.
2. الحاجة الشديدة إلى استثمار منجزات اللسانيات في علوم مختلفة كالشعرية والبلاغة والأسلوبية.
3. الحاجة إلى البعدين الدلالي والتداولي إلى جانب البعد النحوي التركيبي ومنها: الحاجة إلى اتباع التوصيات العلمية العامة التي تطلب إنجاز الدراسات التكاملية، وترفض اختزالية الاتجاهات البنيوية والتوليدية.[8]

أركان التداولية ومكوناتها: تشتمل التداولية على ثلاثة عناصر هي:

1. عنصر ذاتي يتمثل في التعبير عن معتقدات المتكلم ومقاصده واهتماماته ورغبات.
2. عنصر موضوعي يتمثل في الوقائع الخارجية ومن ضمنها الظروف الزمانية والمكانية.

سنة من حياته المهنية في الولايات المتحدة. أثرت مؤلفات جرايس عن طبيعة المعنى على دراسة علم المعاني من المنظور الفلسفي. وتعدّ نظريته حول الاستلزام من أهم وأكثر المساهمات تأثيرًا في علم التداوليات. تربى جرايس في هاربورن (إحدى ضواحي مدينة برمنغهام الآن) في المملكة المتحدة، ودرس في كلية كليفتون، ثم في كلية كوربوس كريستي، جامعة أكسفورد. وبعد فترة وجيزة من التدريس في مدرسة روسال، عاد مرة أخرى إلى جامعة أكسفورد حيث درّس فيها حتى عام 1967م. وفي تلك السنة، انتقل إلى الولايات المتحدة للحصول على الأستاذية من جامعة كاليفورنيا، بيركيلي، حيث استمر في التدريس حتى وافته المنية في عام 1988م. وقد عاد إلى المملكة المتحدة في عام 1979م لإلقاء سلسلة محاضرات جون لوك عن سمات المنطق. وقد أعاد طباعة العديد من مقالاته وأبحاثه في كتابه: دراسات في الكلمات(Studies in the Way of Words)في عام 1989م.

3. عنصر يدل على المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب. وهذه العناصر تفسر أولا الأقوال المستعملة، ثانيا معرفة المحيط الخارجي الذي تم فيه الخطاب الصادر من المتكلم، وثالثا يكون للغة الخطاب أثرها بين المتحدث والسامع من خلال تراكيب الجمل.

وقد وضع جون أوستين المفهوم اللغوي لهذا النوع من الخطاب بوصفه عملا لغويا، وقد ميّز فيه بين ثلاثة مكوّنات هي:

1. العمل القولي: أي أن نقول شيئا ما.
2. العمل المتضمن في القول: أي العمل المتحقق (المنجز) نتيجة قولنا شيئا ما.
3. عمل التأثير بالقول: أي العمل المتحقق نتيجة قولنا شيئا ما يتم الأول نطقا بالصوت المؤلف لكلمات لها معنى. وفي الثاني يتضمن قولا بالإثبات أو النفي أو التمني...الخ وفي الثالث ينجز فعل القول. أي إحداث حالات الخوف، أو الإقناع أو حمل المخاطب إلى التحلي بسلوك معين.[9]

أما بول جرايس فقد أرشد إلى طرح سؤال: "لماذا يقول القائل شيئا وهو يقصد ما يقوله؟ لكنه يريد أن يقول شيئا آخر"وبالمقابل كيف يمكن للسامع" أن يفهم العمل اللغوي غير المباشر في حين إن الجملة التي يسمعها تقول شيئا آخر"؟ من هذه الزاوية ينظر إلى التداولية على أنها تأويل قول المتكلم بعيدا عن المعنى المحدد الذي نطق به. ومن ثم فهم المراد منه.

أهمية عنصر السياق في التداولية:

وطبقا للمفهوم الاتجاه التداولي فإنه ما دامت الغاية الرئيسية من الكلام هي التواصل والتفاهم فإن معنى هذا أن الكلام يجب أن يتسع ليشمل ما يتضمنه من ظروف خارجية تحيط به من غير الاقتصار عند معالجته على الارتباطات اللغوية الداخلية فحسب، وهناك علماء كثيرون يرون عدم اعتماد المعنى على الأصوات والكلمات والأبنية فحسب، بل يعتمد كذلك على السياق، كما أن الباحث لا يمكن له أن يقدم تقريرا شاملا عن معنى الجملة من غير أن يبين الصلات التي تربط عناصر هذه الجملة بالسياق، وأنّ للكلمات معان إذا كانت في استعمالات، وأن هذه الاستعمالات تخرج بها من محيط اللغة الساكن إلى محيط الكلام المتحرك.

ويصبح من المطالب الضرورية لهذا المنهج لفهم وظيفة اللغة من حيث هي أداة، أو من حيث هي آلة، أن ننظر إليها في إطار عوامل رئيسية ثلاثة، ينتظمها الموقف الكلامي، وهي المتكلم والمستمع والأشياء، أي عناصر الموقف المحسوسة، وأوضاعها التي هي موضوع الكلام، ويقوم الرمز اللغوي على التواؤم والتآلف بين هذه العوامل الثلاثة.

تأصيل التداولية عند العرب:

إن البعد التداولي هو الذي يربط بين البنية اللغوية والمظاهر المقامية التي تنجز فيها، وثمة قدر معقول من توافق النظر بين تلك المعطيات المعاصرة وما جاء في تراثنا الغوي والبلاغي على وجه الخصوص من ضرورة الربط بين بنية المقال ومقتضيات المقام.

إن الاعتقاد بأن المقاربات التي تصل بين النظرية اللغوية التراثية والاتجاهات الحديثة صارت مطلبا ضروريا، وأمرا لازما ومهمًّا ونافعا، لأنه من الأهمية بمكان الربط بين الفكر اللساني المعاصر وتراثنا العربي القديم. وفي هذا الصدد ينبغي القول إن تراثنا اللغوي زاخر بالرؤى والأفكار التي تعنى بمعالجة البنية اللغوية من خلال ربطها بسياقات غير لغوية، ولا يقتصر هذا على البلاغيين فحسب بل شمل كثيرا سواهم من اللغويين والنحويين.

إنه مع الإيمان بمشروعية كل جُهد يحاول الكشف عن أسرار النظام اللغوي، وتفسير جوانبه المتعددة، مهما اختلف عما توارثناه عن نحاتنا القدامى، فإنّ ما جاء في هذا الاتجاه خاصا بالحدود الموضوعات والحدود اللواحق، لا يبعد كثيرا عما استقر في التراث النحوي العربي من حيث الوظائفُ العمدُ والفضلاتُ، وأن النظرة إلى الحدود الموضوعات، وهما الفاعل والمفعول بوصفهما يشكلان وظيفتين تركيبيتين لازمتين لتحديد وجهة المحمول (الفعل) لا تتعدى نظرة النحاة العرب القدامى لهما، من ضرورة احتياج الفعل لفاعله، وكذلك لمفعوله، وكدليل على شدة ارتباط الفعل بفاعله جعلهما النحاة كالكلمة الواحدة، ولم يقتصر حديثهم على أهمية الفاعل بالنسبة إلى فعله، بل شمل أيضا المفعول به، إذ هو عندهم لازم للفعل لزوم الفاعل.

والأمر نفسه يصدق على ما قدموه من أقوال عن المبتدإ والخبر، وارتباط كل واحد منهما بالآخر، نجتزئ في هذا الصدد هذا النص لابن يعيش الذي يبرر فيه رأي الكوفيين في عامل الرفع في المبتدإ والخبر، وأنها يترافعان، أي يرفع كل واحد منهما صاحبه، فيذكر أنهم إنما قالوا ذلك: لأنّا وجدنا المبتدأ لا بد له من خبر، والخبر لا بد له من مبتدإ، فلما كان كل واحد منهما لا ينفك عن الآخر ويقتضي صاحبه، عمل كل واحد منهما في صاحبه مثل عمل صاحبه فيه.

والحق أن التوافق بين الفكرين التراثي والوظيفي المعاصر،لم يقتصر على المكونات الموضوعات، أو لنقل العمد، وإنما تعداه ليشمل الحدود اللواحق، أو لنقل الفضلات، وهي التي تحمل أدوارا دلالية لتقييد الحدث، إما بتوكيده أو بيان نوعه أو عدده، كما تقيد مكان حدوثه أو

زمانه، أو علة حدوثه أو بيان مصاحبه وقت الحدوث، وهكذا، ومن هذه الجهة يمكن إدراج عناصر أخرى تأتي لتقييد الفعل، يشير إلى شيء من هذا الرضي في قوله: والذي جعلوه غير المفعولات يمكن أن يدخل بعضها في حيز المفاعيل، فيقال للحال هو مفعول مع قيد مضمونه، إذ المجيء في :**جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا** فعل مع قيد الركوب، ويقال للمستثنى هو المفعول بشرط إخراجه **حَضَرَ الطُّلَّابُ إِلَّا خَالِدًا**. إن ثمة قدرا من التوافق بين هذا الطرح المعاصر في النحو الوظيفي الذي خصص موقعا في صدر الحمل للأدوات الصدور وبين الفكر التراثي، الذي أوجب أن تكون للحروف الموضوعة لأداء المعاني في غيرها الصدارة في الكلام، معتبرا أن كل ما يغير معنى الكلام، ويؤثر في مضمونه وكان حرفا، فمرتبة الصدر، كحروف النفي، وكحروف التنبيه والاستفهام والتشبيه والتحضيض والعرض وغير ذلك. وهذا هو عين ما نص عليه السيرافي *

في قوله: إن حرف الاستفهام يقع في صدر الكلام، ما تقع ما النافية، وإن المؤكدة، والحروف الداخلة على الجمل لها صدور الكلام.

وقد علل العلماء وجوب تصدير هذه الحروف بأسباب ترجع إلى: ما تقتضيه عملية التواصل من وجوب تعاون المتكلم مع المخاطب، وذلك بمساعدته على فهم مقصده من أول الأمر.

* السيرافي (ولد في284هـ – توفي في368هـ): أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافي النحوي المعروف بالقاضي؛ ولد في سيراف وبها ابتدأ بطلب العلم، وخرج منها قبل العشرين ومضى إلى عُمان وتفقه بها، ثم عاد إلى سيراف، ومضى إلى عسكر مكرم فأقام بها عند أبي محمد ابن عمر المتكلم، وكان يقدمه ويفضله على جميع أصحابه، ودخل بغداد، وخلف القاضي أبا محمد ابن معروف على قضاء الجانب الشرقي ثم الجانبين. وكان من أعلم الناس بنحو البصريين. قرأ القرآن الكريم على أبي بكر ابن مجاهد، واللغة على ابن دريد، والنحو على أبي بكر ابن السراج النحوي، وكان الناس يشتغلون عليه بعدة فنون: القرآن الكريم والقراءات، وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض والحساب والكلام والشعر والعروض والقوافي. ومن أشهر مؤلفاته: شرح كتاب سيبويه أخبار النحويين البصريين، ألفات الوصل والقطع، الوقف والابتداء، صنعة الشعر والبلاغة، شرح مقصورة ابن دريد،. كتاب جزيرة العرب، المدخل إلى كتاب سيبويه، شواهد كتاب سيبويه، كتاب الإقناع

وفي العودة إلى كتاب سيبويه (ت180هـ)* كذلك نراه يفسر ما يعرض في بناء المادة اللغوية من ظواهر مخالفة لأصول النظام النحوي باللجوء إلى السياق والعناصر غير اللغوية.

ووصل الأمر بعلمائنا إلى أنهم حددوا أوصافا بنيوية لظواهر مقامية مرتبطة بها، ولا يخفى علينا ما طرحوه من أوصاف بنيوية لظاهرة التخصيص، وظاهرة العناية، وظاهرة الحصر، وظاهرة التوكيد، وغيرها من الظواهر المقامية، أو لنقل التداولية، فإسناد وظيفة من هذه الوظائف إلى أحد مكونات الجملة يحدد بنيتها، فقصد الاختصاص مثلا كان من دواعي تقدم المفعول به في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة:5] كما يذكر الزمخشري في أساس البلاغة، التفسير نفسه في عرضه قول الله تعالى: {بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمر: 66] يقول: فإنه إنما قال: اً {بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ} ولم يقل: بل اعبد الله، لأنه إذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره، ولو قال: بل اعبد الله، لجاز إيقاع الفعل على أي مفعول شاء.

وتبين مما سبق أن ظاهرة مقامية كالاختصاص تمكنت من تحديد بنية الجمل التي أسندت إلى أحد مكوناتها، ولا شك أن هذا الطرح التراثي يؤكد اشتراك أصحابه مع ما يقدمه الدرس الوظيفي المعاصر من أن ثمة ارتباطا وثيقا بين الخصائص البنيوية للعبارات اللغوية والأغراض التواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسيلة لبلوغها، وخير برهان على هذا التأكيد بين الفكرين: التراثي والمعاصر، حول التصور لطبيعة اللغة ووظيفتها، تناول عثمان بن جني(ت392هـ)* مفهوم اللغة

---

* سيبويه(148هـ ـ 180هـ/ 796م ـ 765م) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، يُكنى أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، أول من بسّط علم النحو. أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد الفراهيدي وحماد بن سلمة ويونس بن حبيب والأخفش وعيسى بن عمر. ألف سيبويه **الكتاب** وهو أهم مؤلفات اللغوي البصري سيبويه ويعتبر أول كتاب منهجي ينسق ويدون قواعد اللغة العربية. وقال عنه الجاحظ إنه: «لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله». أُلِّفَ الكتاب في القرن الثاني للهجرة الموافق للثامن من الميلاد. سمي **بالكتاب** لأن مؤلفه تركه من غير عنوان.

* أبو الفتح عثمان بن جني المشهور ب(ابن جني) عالم نحوي كبير، ولد بالموصل عام322 هـ، ونشأ وتعلم النحو فيها على يد أحمد بن محمد الموصلي الأخفش يذكر ابن خلكان أن ابن جني قرأ الأدب في صباه على يد أبي علي الفارسي حيث توثقت الصلات بينهما، حتى نبغ ابن جني بسبب صحبته، حتى إن أستاذه أبا علي الفارسي كان يسأله في بعض المسائل، ويرجع إلى رأيه فيها. وكانت وفاته سنة 392 هـ. له ما يفوق الخمسين كتابا، أشهرها

في قوله: «أما حدّها فإنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم.»[10] وكما هو واضح فإن هذا المفهوم قائم على الثنائية بين الأصوات من جانب والأغراض التي يروم المتكلم إبلاغها من جانب آخر، ولا شك أن مراده بالأصوات هو تركيب الألفاظ بحسب ما يقتضيه نظام القواعد، وأن هذا التركيب يتميز بكونه وظيفي، أي تجب معاملته بربطه بما يؤديه من وظائف، ومن ثمة فلا ينبغي أن تكون دراسة اللغة هي بحث في أنساق تركيبية مجردة، ومعزولة عن وظيفتها وعن الغرض منها.

وتستخدِمُ اللغة العربية في إظهار المعلومة التي يجهلها المخاطب، أي التي لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب وسيلة **النبر**، كما في مثل:

ـ جاء "**زيدٌ**" ـ لقيَ زيدٌ "**عمراً**" ـ خرجَ خالدٌ "**مبتسمًا**"

إن أثر هذه الظاهرة الصوتية في الكلام واضح في الكشف عن المعاني المختلفة، مثل إظهار أهمية العنصر المنبور، وفي التمييز بين الخبر والاستفهام والتعجب، وأيضا التهديد والتضرع والخوف، وكلها معاني يكشف عنها النبر، ولم يغفل القدماء أثر هذه الظاهرة في الكشف عن المعاني، فهذا

ابن سينا * يذكر أن من أحوال النغم والنبرات، وهي هيئات في النغم مدّية، غير حرفية يبتدأ بها تارة، وتخلل الكلام تارة، وتعقب النهاية تارة، وربما تكثر في الكلام، وربما تقل وربما أعطيت هذه

كتاب"**الخصائص**" الذي يتحدث فيه عن بنية اللغة وفقهها. وكتاب "**سر صناعة الإعراب**" عاش ابن جني في عصر ضعف الدولة العباسية ومع ذلك فقد وصل إلى مرتبة علمية لم يصل إليها إلا القليل.

* هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، عالم وطبيب مسلم من بخارى، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما. ولد في قرية أفشنة بالقرب من بخارى (أوزبكستان) حاليا من أب من مدينة بلخ (أفغانستان) حاليا وأم قروية. ولد سنة 370هـ ـ 980م وتوفي في همدان (إيران) حاليا سنة427هـ ـ 1037م. عُرف باسم الشيخ الرئيس وسماه الغربيون بأمير الأطباء وأبو الطب الحديث في العصور الوسطى. وقد ألف200 كتابا في مواضيع مختلفة، العديد منها يركّز على الفلسفة والطب. ويعدّ ابن سينا من الأوائل من كتب عن الطبّ في العالم ولقد اتبع نهج أو أسلوب أبقراط وجالينوس. وأشهر أعماله كتاب القانون في الطب الذي ظل لسبعة قرون متوالية المرجع الرئيسي في علم الطب، وبقي كتابه (القانون في الطب) العمدة في تعليم هذا الفنِّ حتى

النبرات بالحدة والثقل، هيئات تصير بها دالة على أحوال أخرى من أحوال القائل إنه متحير أو غضبان، وربما صارت المعاني مختلفة باختلافها، مثل أن النبرة قد تجعل الخبر استفهاما والاستفهام تعجبا وغير ذلك.

التداولية والمسرح:

إن ما يدعو للقلق، اتساع الفجوة بين التداولية والمسرح، وهي الفجوة التي تفنن في صنعها المتأثرون بفكرة إيجاد صيغة مناسبة تلغي التقاطعات الممكنة بين الحقلين التداولي والمسرحي، اعتقادا منهم بأن الحقل التداولي يجدد نفسه في مجال اللغة، والحقل المسرحي يتطور فوق خشبة الفن. إن بعض الباحثين، قللوا من شأنها واعتبروها عاجزة عن تحليل العرض المسرحي، باعتباره منطقة مكهربة يصعب الدخول إليها، وهذا رأي خاطئ تماماً وبعيد عن الصواب، فيكفي الرجوع لبعض الكتابات النقدية التطبيقية الواعدة حتى تظهر للمشككين بجلاء إضافات الدرس التداولي في تحليل العرض المسرحي. غافلين المسرح الذي لا يمكن أن يثبت ذاته، أو يؤدي رسالته، إذا لم يجعل لنفسه آليات تدفعه إلى تواصل دائم مع متلقيه، سواء أكان نصا ورقيا أم فرجة. وهو التواصل الذي لا يمكن أن يتحقق إلا بتوافر اللغتين السيميائية واللسانية... ولقد عبرت التداولية عن تكيفها مع أنماط أدبية مختلفة، غير أن نمط النص الذي استأثر باهتمام التداوليين والذي يظهر أن التحليل التداولي له مفيد، هو النص المسرحي. إذ توظف التداولية كأداة فعالة لدراسة الخطاب المسرحي، وتبين أن نظريات أفعال اللغة أتت بإضافات دقيقة لتحليل الخطاب المسرحي.

إذا كان من الصعب تحديد موقع التداوليات كمبحث لساني في حقلها الأصلي –أي اللسانيات– فكيف يمكن ضبط مستوياتها وحدودها مع المسرح؟ للإجابة عن هذا السؤال يرى (حسن يوسفي) أن دراسة التداولية في علاقتها بالمسرح باعتباره نصًّا أدبيًّا وفرجة في آن واحد، يطرح إشكالات لا تقل عن سابقاتها خصوصا وأن الاهتمام بالبعد التداولي للمسرح حديث جدا يمكن

أواسط القرن السابع عشر في جامعات أوروبا ويُعدّ ابن سينا أوَّل من وصف التهاب السّحايا الأوَّلي وصفا صحيحا، ووصف أعراض حصى المثانة، وانتبه إلى أثر المعالجة النفسانية في الشفاء. وله كتاب الشفاء. وتناول ابن سينا الأصوات العربية بالدراسة في رسالة أسماها **"أسباب حدوث الحروف"**

ربطه زمنياً بعقد الثمانينات. ويمكن حصر الإشكاليات التي أفرزها الاهتمام الحديث بالتداولية المسرحية في ثلاث وهي.

1ـ الإشكال الإبستيمولوجي.

2ـ الإشكال النظري.

3ـ الإشكال الإجرائي.

يتعلق الإشكال الإبستيمولوجي، بسؤال النموذج، بمعنى، أي الحقلين يشكل نموذجا بالنسبة للآخر، التداولية أم المسرح؟ هل استعملت التداولية كوسيلة لدراسة الخطاب المسرحي وحسب، أم أنها استعملت التلفظ المسرحي نموذجاً تفكر عبره في مختلف القضايا اللغوية التي تعرض لها؟ أما الإشكال النظري فيفرض نفسه على مختلف الدارسين للخطاب المسرحي من الزاوية التداولية، ويتلخص في السؤال الآتي: أي شكل من أشكال التداولية يمكن استغلاله في إطار نظرية المسرح؟ أما الإشكال الثالث والأخير فيطرح نفسه بإلحاح من جانب محدد هو علاقة التداولية كجهاز مفاهيمي إجرائي بالمسرح كفن يقوم على ثنائية نص/عرض.

ولعل أهم المحاولات، والتي تنسب إليها الريادة في مجال تداولية المسرح، ما يأتي:

1- (آن يوبيرسفلد) Anne Ubersfeld (1982): الفصل الأخير من كتاب (قراءة المسرح) Lire le théatre تحت عنوان (نحو تداولية للحوار المسرحي) Pour une approche pragmatique du dialogue théatral

2- (كاترين كربرت أورشيوني) Catherine Kerbrat-Orecchioni (1984): من خلال دراسة بعنوان (من أجل مقاربة تداولية للحوار المسرحي) Pour une approche pragmatique du dialogue théatral؛

3 - (أندري بوتيجان) André Petit-Jean (1984): من خلال دراسة بعنوان (الحوار في المسرح) La conversation au théatre؛

4 - (آن يوبيرسفلد) Anne Ubersfeld (1987): من خلال دراسة بعنوان (بيداغوجية الفعل المسرحي) Pédagogie du fait théatral؛

5 - (دومنيك مانغونو) Dominique Maingueneau 1990): من خلال فصل من كتابه (تداولية الخطاب الأدبي) والذي جاء بعنوان (ازدواجية الحوار المسرحي) Duplicite du dialogue théatral.

هذه الكتابات على الرغم من محدوديتها، إلا أنها تبقى أساسية في بناء أي تصور معرفي حول تداولية المسرح. [11]

خاتمة:

إنّ ظروف نشأة التداولية، واهتمامها بالمعنى المراد في داخل السياق بين متكلم بعينه ومتلقي بعينه، ونظرا لترتيب البحث التداولي بعد البحث التركيبي والبحث الدلالي، نلاحظ اتساع مجالات البحث في التداولية، فالتداولية تعرض للمعنى الاستعمالي، وهذا يتضمن دراسة المنطوق اللغوي، وبعد ذلك دراسة المتكلم وكل ما يتصل به، وما هدفه أو قصده، ثم المتلقي وعلاقته بالمتكلم، ومعرفة العناصر الأخرى التي تؤثر في فهم المعنى.

توجد في كل اللغات الإنسانية كلمات وتراكيب وتعبيرات تعتمد اعتمادا مطلقا على السياق الذي تستخدم فيه، ولا يستطيع أحد إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه، فإذا قرأت الجملة الآتية مقتطعة من سياقها: سيُنجزون هذا العملَ غدًا في منتصف النّهار في مؤْقع وجُودِهِمْ. وجدناها شديدة الغموض؛ لأنها تحتوي على عدد من العناصر الإشارية التي يعتمد تفسيرها اعتمادا تاما على السياق الذي قيلت فيه، ومعرفة المرجع الذي تحيل إليه، ومن هذه العناصر: واو الجماعة في (سيُنجزون) واسم الإشارة (هذا) وظرف الزمان (غدا) وظرف المكان (موقع) ولا يتضح معنى هذه الجملة إلا إذا عرفنا ما تشير إليه.

هوامش وإحالات:

[1] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: 1420هـ ـ 2000م، لبنان، ص402.

[2] محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دط، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت: 1986م، باب الدال (د و ل) ص90.

[3] أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، المصباح المنير، معجم عربي عربي، دط، دار الحديث، القاهرة:1424هـ ـ 2003م، جمهورية مصر العربية،كتاب الدال (د و ل) ص124.

[4] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دط، دار الدعوة للتأليف والطباعة، استانبول: 1410هـ ـ 1989م، تركيا، ص304.

[5] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت: يوليو2005م، لبنان، ص5.

[6] الأستاذ أحمد، "البعد التداولي في النحو الوظيفي من منظور المعطى اللغوي التراثي" تداوليات ـ ويكيبيديا الحرة ـ بتصرف ـ

[7] Catherine Kerbrat-orecchoni, science de l'utilisation du langage, ou en sont les actes du langage ? l'information grammaticale (Paris) n: 66 Juin 1995, P5.
عن مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص17.

[8] الأستاذ أحمد، "البعد التداولي في النحو الوظيفي من منظور المعطى اللغوي التراثي" تداوليات ـ ويكيبيديا الحرة ـ بتصرف ـ

[9] الأستاذ أحمد، "البعد التداولي في النحو الوظيفي من منظور المعطى اللغوي التراثي" تداوليات ـ ويكيبيديا الحرة ـ بتصرف ـ

[10] عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دط، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دت، ج1، ص33.

[11] عمر الرويضي"التداولية والمسرح: البحث عن التواصل في الفرجة" المجلة العربية، مجلة شهرية ثقافية، الرياض، السعودية: صفر1439هـ ـ نوفمبر2017م، العدد493 ـ بتصرف ـ